مجالس ايليا مطران نصيبين

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

(٦٥) المجلس السادس

في ذكر ما جرى من البحث في النحو واللغة والخطّ والكلام

وفي يوم الثلثاء الثامن من جمادى الآخرة حضرتُ مجلس الامير فقال لي: ألكم من العلوم مثل ما للمسلمين؟

قلت: نعم وزيادة وافرة

قال: وما الدليل عليه؟

قلتُ: انّ عند المسلمين علوماً كثيرة منقولة من السريان وليس عند السريان علمٌ منقول من عند العرب

قال: أفلكم علم النحو واللغة وحسن الخطّ والكلام مثلما للمسلمين؟

قلتُ: نعم

قال: فكيف نحوُ السريانيين من نحو العرب؟

قلتُ: نحوُ السريانيين احسن واكثر فائدة واعظم فضيلة

قال: أترفعون الفاعل وتنصبون المفعول كما تفعل العرب؟

قلتُ: لا

قال: فكيف تعرفون الفاعل من المفعول؟(٦٦)

قلتُ: «انّ المفعول ليس يخلو ان يكون مجانساً للفاعل او غير مجانس فالمجانس هو مثل قولنا: «ضرب زيدٌ عمراً» فعمروٌ مجانس لزيد اذ عمرو انسان وزيد انسان. ومثلهُ قولنا: «قتل خالدٌ بكراً وسبقَ الفرسُ الاشقرُ الفرسَ الادهمَ. وقطعَ الثورُ الاسودُ الثورَ الأبيضَ» وغير ذلك من الاشياء المتجانسة. واما الذي ليس هو متجانس فمثل قولنا: «خلقَ اللهُ العالمَ. ورحمَ اللهُ زيداً. وركب زيدٌ الجملَ. واكل عمروٌ الخبزَ. وشرب بكرٌ اللبنَ» وما شاكل ذلك مما مفعولهُ غير مجانس لفاعلهِ.

«فلمّا رأى السريانيّون الفاعلَ والمفعول على هذين القسمَيْن وانّ المفعول لا يلتبس

بالفاعل الّا اذا كان مجانساً له. الّا في النادر حسبما أُبيّنهُ أدخلوا على المفعول المجانس للفاعل حرفَ اللام كما يُدخلهُ العرب على المفعول في بعض كلامهم نحو قولهم : « قال زيدٌ لعمرو . ودما خالدٌ لبكرٍ » . ولم يُدخلوا هذا الحرف على المفعول الذي لا يجانس الفاعل اذ لا يلتبس بما تقدَّمَ عليهِ او تأخَّر عنهُ كما لا يلتبس قولنا « خلقَ اللهُ العالَمَ » (٦٧) سواء تقدَّمَ اسمُ العالم على اسم الله او تأخَّر عنهُ اذ يستحيل ان يكون العالم خالقاً والله تعالى مخلوقاً . كما لا يلتبس قولنا : « رحمَ الله زيداً . وركبَ زيدٌ الحمارَ . واكلَ عمروٌ الخبزَ . وشربَ بكرٌ اللبنَ » وما شاكل ذلك مما لا يلتبس تقدَّمَ المفعول او تأخَّر أُعرب ام لم يُعرَب . فبإدخال اللام على المفعول المجانس لفاعلهِ عرف السريانيّون المفعولَ من الفاعل تقدَّم او تأخَّر

« وقد يتَّفق في النادر ان يكون مفعولٌ غيرَ مجانسٍ لفاعلهِ ويجوز وقوع الفعل منهما معاً نحو قولنا « ضرب زيد الفرس » فقد يُحتَمل ان يكون المراد بهذا القول انَّ زيداً ضربَ الفرسَ ويُحتمل ان يُراد بهِ انَّ الفرسَ ضربَ زيداً . فكلُّ مفعولٍ هذه صفتُهُ يُدخل السريانيّون عليهِ ايضاً اللام ليُفرَق بينهُ وبين فاعلهِ . ولمّا كان العرب انما يرفعون الفاعل وينصبون المفعول ليفرقوا بينهما وكان للسريانيين علامة تدلُّهم على الفرق بين الفاعل والمفعول هي أبيَنُ من الرفع والنصب ما احتاجوا ان يرفعوا الفاعل وينصبوا المفعول كما تفعل العرب (٦٨)

قال : وما الدليل على انَّ ادخالَ حرف اللام على المفعول أبيَنُ من رفع الفاعل ونصب المفعول في الفرق بينهما ؟

قلتُ : لأنَّ حرف اللام يفرقُ بين كلّ فاعل ومفعول وليس الرفع والنصب كذلك . وذلك اذا قلنا : « ضربتْ سَلمَى الكُرَى . وكسرتِ العصا الرحى . وقتل سيبويهِ خالويهِ » لم يَفرق الرفعُ والنصب بين فاعل هذه الافعال ومفعولها . وكذلك يجري الامر في سائر الاسماء التي لا تنصرف

قال : فما فضيلةُ لغة السريانيين على لغة العرب ؟

قلتُ : انَّ فضيلة لغة السريانيين على لغة العرب هي انَّ كلام السريانيين ما فيهِ التباس اذا تكلَّم بهِ احدٌ مشافهةً ولذلك استغنى عن النحو فيما يُشافِهُ بهِ بعضُهم بعضاً . واما كلام العرب فكثيراً ما يُلتَبَسُ بهِ في المشافهة . والذي يلتبسُ منهُ على

ضربَيْن : فمنهُ مـا يكشفُ النحوُ والإعراب لَبْسَهُ كقول القائل : « ضرب زيدٌ عمرًا وضربَ عمرًا زيدٌ . واكرم خالدٌ بكرًا واكرمَ بكرًا خالدٌ » فانَّ السامع يعلم انَّ زيدًا (٦٩) هو الضارب لانهُ مرفوع وعمرًا مضروبٌ لانَّهُ منصوب . وخالدًا مُكرِمٌ لانَّهُ مرفوع وبكرًا مُكرَمٌ لانَّهُ منصوب . وما شاكل ذلك من الاقاويل التي لولا الاعراب لالتبست

« واما ما لا يزيل النحوُ لَبْسَهُ كقول القائل : «ضرب عيسى موسى . وقتل القاضي الغازي . ورحمَ وكيلي خازني» وما شاكل ذلك من الاقاويل التي لا يتميَّز فاعلُها من مفعولها . ومما يلتبس ايضاً ولا يكشف الاعراب لَبْسَهُ كقول القائل : « لقيتُ زيدًا مسرورًا » فان السامع لا يعلم صاحب الحال وهل المتكلم هو المسرور او زيد . ومثلهُ : « لقيت عمرًا خجلًا . ولقيتُ بكرًا مهمومًا » وما شاكل ذلك . واذا كان الامر على هـذا ولم يكن في كلام السريانيين اذا تكلَّموا به مشافهةً ما يلتبس به كلام العرب التباساً يكشف النحوُ بعضَهُ وبعضُهُ لا يكشفهُ عُلِمَ انَّ لغة السريانيين افضل من لغة للعرب ؟

قال : وما فضيلة نَحْوِ السريانيّينَ على نَحْوِ العرب ؟ (٧٠)

قلتُ : «انَّ فضيلة نَحْوِ السريانيين على نحو العرب انما هي انَّ نَحْوَ السريانيين ضروريٌّ ونَحْوَ العرب اصطلاحيٌّ . ويفضلهُ ايضاً بأنَّ نحو السريانيين ضروريٌّ يزيل اللبس الواقع في الكتاب ونحو للعرب ليس يزيلهُ . فانا ابيّن ذلك بامثلةٍ اذكرها فاقول : «انَّ الكلام مؤلَّف من جُمَل . والجُمل مؤلَّفة من مبتدإٍ وخبر ومن فعل وفاعل ومن خبر واستخبار وطلب وسؤال وامر ودُعاء وتعجُّب وغير ذلك . وقد تلتبس معاني هذه الاقسام بعضها ببعض اذا كُتبت . فمن ذلك اختلاط جملة في جُملة نحو قول القائل : « وصل المصريون والشاميُّون والعراقيُّون لم يصلوا » فهذا قولٌ مؤلَّف من جملتَيْن ويُحتَمل ان يكون المراد به «انَّ المصريين والشاميين وصلوا وانَّ العراقيين لم يصلوا» . ويحتمل انَّ المراد به انَّ المصريين وصلوا وانَّ الشاميين والعراقيين لم يصلوا . فاذا تكلَّم المتكلِّم به بالسريانيَّة او بالعربيَّة مشافهةً علم السامع من اشارات المتكلِّم ونَغَمات صوته هل المصريُّون والشاميُّون وصلوا كلهم او المصريين وصلوا ولم يصل الشاميُّون والعراقيُّون . فهذا القول اذا كُتب بالسريانيَّة فانَّ قارئهُ

يفهم معناهُ كما يفهمهُ اذا سمعهُ مشافهةً . وكذلك ايضاً يفهمهُ من يسمع قراءتهُ بالسريانيَّة . فأمَّا اذا كُتب بالعربيَّة فلا القارئ ولا السامع يفهمان معناهُ (٧١)

فلذا السبب وقع الخلف بين علماء المسلمين في قولهِ الوارد في القرآن (سورة آل عمران ع ٥) : «وما يعلم تأويلهُ الَّا الله والراسخون في العلم قالوا : آمنَّا» فقال بعضهم انَّ لله والراسخين في العلم يعلمون تأويلهُ . وقال آخرون انَّ الراسخين لا يعلمون تأويلهُ وانَّما آمنوا بهِ فقط . فنحوُ العرب ليس يدلُّ على حقيقة ذلك كما يدلُّ نحوُ السريانيين على المراد بهذا القول لو كان سريانيًّا

«ومن ذلك التباس المبتدإ بالخبر والخبر بالمبتدأ نحو قول القائل : «زيدٌ غلامُ عمرو» فانَّ هذا القول يحتمل ان يكون كاملاً تامًّا مركَّباً من مبتدإ وخبر بانَّ زيداً مبتدأ وعمراً خبرهُ . ومحتمل ان يكون كلُّهُ مبتدأ يقتضي خبراً نحو قول القائل : «زيدٌ غلامُ عمروٍ فاضلٌ» فقولهُ «زيدٌ غلامُ عمرو» مبتدأ (١) وقولهُ «فاضل» خبرهُ . ومحتمل ان يكون خبراً لمبتدإٍ قد تقدَّمهُ نحو قول القائل «الوارد من الموصل زيدٌ غلامُ عمروٍ فقولهُ «زيدٌ غلامُ عمروٍ» مبتدأ مع بدلهِ وقولهُ «الوارد من الموصل» خبرهُ واذا تكلَّم المتكلم بهذا القول الذي هو «زيدٌ غلام عمرو» بالسريانيَّة او بالعربيَّة مشافهةً يفهمهُ السامع اي قسم اراد بهِ المتكلم من هذه الاقسام الثلثة (٧٢) وكذلك اذا كُتب بالسريانيَّة . واما اذا كُتب بالعربيَّة فلا يعلم القارئ ولا السامع غرض المتكلم بهِ

«ومن ذلك التباس الإخبار بالاستفهام نحو قول القائل : «عالمٌ بالبصرة» فانَّ هذا القول يحتمل ان يكون استفهاماً واذا تكلَّم بهِ المتكلم بالسريانيَّة او بالعربيَّة مشافهةً يعلم السامع عن اشارات المتكلم هل هو مُخبِر او مُستفهم . وكذلك اذا كُتب بالسريانيَّة يعلم القارئ والسامع ذلك . واما اذا كُتب بالعربيَّة فلا القارئ ولا السامع يعلمان غرض الكاتب بهِ الَّا بأن يُقدَّم عليهِ حرف الاستفهام

ومن ذلك التباس الامر بالطلب نحو قول القائل : «أعطني مائة درهم» فانَّ هذا القول يحتمل ان يكون سؤالاً . واذا تكلَّم بهِ المتكلم مشافهةً بالسريانيَّة او بالعربيَّة يعلم المخاطَب بهِ من اشارات مخاطِبهِ هل هو مأمور او مسئول . وكذلك اذا كُتب هذا القول بالسريانيَّة فانَّ قارئهُ ومن يسمعهُ يعلمان أهو امر او سؤال . واما

(١) يُريد المبتدأ مع بدلهِ «غلام عمرو»

اذا كُتب بالعربيَّة فليس يعلم ذلك القارئ ولا السامع

« ومن ذلك التباس الإخبار بالدعاء (٧٣) نحو قول القائل : « غفر الله لك » فقد يحتمل هذا القول ان يكون خبراً ويحتمل ان يكون دعاءً فاذا تكلَّم به المتكلِّم بالسريانيَّة او بالعربيَّة مشافهةً علم السامع غرض المتكلِّم . وكذا اذا كُتب بالسريانيَّة يعلم القارئ والسامع ذلك . لمَّا اذا كُتب بالعربيَّة فلا يعلمان الغرض فيه ما هو

« ومنهُ التباس السؤال بالتعجُّب نحو قول القائل : « كيف خربت المدينة » فقد يحتمل هذا القول سؤالاً ويحتمل ان يكون تعجُّباً . واذا ورد مشافهةً يعلم السامع الغرض منهُ وكذلك اذا كُتب بالسريانيَّة . ولمَّا اذا كُتب بالعربيَّة فلا يُعلم الغرض منهُ . واذا كان الامر على هذا فقد ثبت انَّ نَحْو السريانيين يكشف ما لا يكشفهُ نحوُ العرب

قال الوزير : « وانَّما يُفيدنا نَحْوُ العرب معرفة معاني كثيرة ملتبسة مثل القول (٧٤) الوارد في القرآن (سورة التوبة ع٣) : « انَّ الله بريٌ من المشركين ورسولهُ » فانهُ لولا الإعراب توهَّم السامع او القارئ انَّ الله بريٌ من المشركين ومن رسولهِ . ومثلهُ قولهُ (سورة الملائكة ع ٢٥) : « انَّما يَخْشى اللهَ من عبادهِ العُلَماء » فانهُ لولا الاعراب توهَّم السامع والقارئ انَّ الله يَخْشى من العلماء . ومثل ذلك اقاويل كثيرة لولا الاعراب لالتبست على السامع والقارئ »

قلتُ : « انهُ قد يتَّفق انَّ اقاويل كثيرة لا يكشف النحوُ لُبسها مثل هذين القولين . واذا كان الامر على هذا فلا فخر في قولَين يكشف الاعراب لبسهما بالاتفاق وهو لا يكشف لُبس اقاويل كثيرة مثلهما . فمن ذلك قول من يقول : « انَّ الله بريٌ من المشركين وعيسى وموسى » ومثلهُ : « انَّ الله بريٌ من المشركين وسيبويهِ » او « بريٌ من المشركين وملَّتي » او « بريٌ من المشركين ومرشدي الى الحقّ » (٧٥) فانَّ هذه الاقاويل جميعها ممَّا لا يكشف الإعراب لُبسها كما كشف لُبس قولهِ « انَّ الله بريٌ من المشركين ورسولهُ »

« ومن ذلك ايضاً قول من يقول : « انَّ الله يعاقبُ المشركين ورسولهُ » ومثلهُ لعلَّ الله يرحمُ المظلومين ورسولهُ » فانَّ النحو لا يكشف لُبس هذه الاقاويل كما

كشف لُبس قوله «انَّ اللهَ بريء من المشركين ورسولهُ»

وكذلك قول من يقول: انَّما يسمع اللهُ من علمائهِ وموسى» ومثلهُ «انَّما يخاف وكيلي من اصحابي وخازني» وما شاكل ذلك ممَّا لا يكشف النحوُ لُبسَهُ كما كشف لُبس قوله: «انَّما يخشى اللهُ من عبادهِ العلماء». واذا كان الامرُ على هذا فقد (٧٦) ثبت انَّ نَحو العرب ليس يكشف لُبس كلّ الاقاويل الجارية في الكلام وانَّما يكشف لُبس بعضها بالاتفاق - على خلاف نَحو السريانيين الذي يكشف لُبس كلّ الاقاويل كشفاً واحداً»

قال الوزير: وكيف استخرج علماء السريانيين نَحوهم وعلى ايّ اصول رتَّبوهُ؟

قلتُ: «انَّ علماء السريانيين ابتدأوا فأحكموا كلامهم إحكاماً لا يلتبس عليهم شيءٌ منهُ اذا تكلَّموا بهِ مشافهةً. ثمَّ بعد ان أحكموا ذلك وأتقنوهُ حدَّدوا اقاويل كثيرة لا تلتبسُ مشافهةً وانَّما تلتبس في الكتابة مثل اختلاط جملةٍ في جملة. والتباس المبتدإ بالخبر والخبر بالمبتدأ» والتباس الخبر بالاستفهام والسؤال بالطلب. وغير ذلك من اقسام الكلام المقدَّم ذكرها

«فبحثوا عن السبب الذي من اجلهِ لا تلتبس تلك الاقاويل اذا تكلَّموا بها مشافهة وتلتبس في الكتابة عند سائر اهل الكتابة والخطوط (٧٧) فوجدوا انَّ السبب في ذلك هو اشارات المتكلم ورفعُ صوتهِ وخفضُهُ ولينُهُ وقوَّتهُ بحسبما يقتضيهِ معنى الكلام. وذلك انَّ المتكلِّم اذا كان سائلاً تكون اشارتهُ غير اشاراتهِ اذا كان مستخبراً. واذا كان مخبراً تكون اشارتهُ غير اشاراتهِ اذا كان داعياً. واذا كان مستفهماً تكون اشارتهُ غير اشاراتهِ اذا كان مُخبراً فجعلوا لكل قسمٍ من هذه الاقسام علامةً وهي نقطةٌ او نقطتين او اكثر يضعونها على القول واذا شاهدها القارئ علم ما هو المعنى وقرأها بالاشارات التي يعرفها الحاضر عند سماعها

«وذلك انهُ اذا رأى القارئ على القول علامة الاستفهام قرأ ذلك القول باشارات الاستفهام. واذا رأى عليهِ علامة التعجُّب او علامة الامر او علامة النداء قرأهُ باشارات التعجُّب او الامر او النداء. واذا شاهد عليهِ علامة القطع بين الجملتين وقف وقفاً يدلُّ على القطع. وكذلك اذا شاهد عليهِ علامة انقضاء المبتدإ وابتداء الخبر قطع

قطعاً يدلُّ على ذلك. ولهذا السبب لا يلتبس (٧٨) على السريانيين شيءٌ من كلامهم وكتابهم. واذا كان الامر على هذا فقد عُلم ان نحو السريانيين اجود من نحو العرب

« وذلك انَّ نحو العرب تابعٌ لكلام العرب مرتَّبٌ على ما يقتضيهِ كلامهم المصطلح عليه. ونحو السريانيين مبنيٌّ على اصول عقليَّة وقياسات ضروريَّة. وقد بيَّن ابو بكر محمّد بن زكريَّا الرازي في كتاب الطبّ الروحاني في الفصل الخامس منهُ انَّ نحو العرب من العلوم الاصطلاحيَّة الضروريَّة. وحُكي عن بعض الشيوخ العلماء انهُ قال في نحو العرب: انهُ علمُ مَنْ لا علمَ لهُ يفرحُ بهِ من لا عقل لهُ. وبيَّن ايضاً حنين ابن اسحاق في المقالة الثالثة من كتابهِ في نحو العرب انَّ العرب ليس لهم نحوٌ يعرفون منهُ المعاني الغامضة كما للسريانيين (٧٩). ويستدلُّ من قولهِ انَّ نحوَ العرب غير كافٍ ولا مُقنع لِما يُحتاج اليه. ولم أقلْ ذلك وانا أقصد الطعن في نحو العرب ولا ان أجحد فضلهُ وشرفهُ وانما قصدتُ من ذلك ان ابيّن انهُ اذا قِيسَ نحو العرب بنحو السريانيين وُجد نحو العرب دونهُ ووُجد نحو السريانيين اكثر فائدةً واعظم فضلاً »

*

قال الوزير: وكيف علمُ اللغة عندكم مما عند المسلمين؟

قلتُ: انَّ علم اللغة ضروري عند سائر اهل اللغات بهِ تقوم معرفة الاشياء واثباتها ومعرفة الافعال وتصريفها والحروف ومعانيها ومعرفة الزوائد والحذف والفكّ والادغام وغير ذلك من التصريف وللسريانيين في ذلك معرفة تامَّة.

قال الوزير: أفيستعملون المجاز في كلامهم كما يستعملهُ العرب؟

قلتُ: لا يستعملون المجاز الّا ضرورةً عند الحاجة اليهِ لأنَّ استعمالهُ لغير ضرورة عيبٌ لا فضيلة. وذلك ان الكلام كلَّهُ على ضربَيْن (٨٠) حقيقة ومجاز. فاذا كان حقيقةً كانت فيهِ كلفةٌ على المتكلم وسهولةٌ على السامع. لأنَّ الكلام اذا كان حقيقةً لا يلتبس واذا كان مجازاً كان سهلاً على المتكلم مشتبهاً على السامع لأنَّ اللَّبس لا يقع في الكلام اذا كان حقيقةً وانما يقع فيهِ اذا كان مجازاً. فلذلك ليس نرى استعمال المجاز الّا لضرورة كما نستعملهُ في قولنا: « سخط اللهُ ورضي وسمع وابصر » وما شاكل ذلك مما نوردهُ مجازاً اذ ليس يوصف باستعمالهُ حقيقةً. واما استعمال المجاز حيث يمكن استعمال الحقيقة فهو عندنا عيبٌ وعجزٌ من المتكلم.

قال الوزير: لو كان المجاز عيباً لما كان اكثر القرآن مجازاً

قلتُ: أسأل الوزير أيّدهُ الله ان يُفيضَني من الكلام في مجاز القرآن

قال الوزير: انهُ من المعلوم انَّ لغة العرب اوسع من سائر اللغات

قلتُ: وما الدليل على ذلك ؟

قال: الدليل على ذلك اننا نجد لشيءٍ واحدٍ عند العرب اسماء كثيرة وليس عند السريانيين ولا عند غيرهم الّا اسمٌ واحد للشيء وربَّما لم يكن لهُ عندهم اسمٌ اصلاً (٨١)

قلتُ: امَّا الاشياء التي لها عند العرب اسماء كثيرة فهي الاشياء التي يستعملونها كثيراً ويشاهدونها دائماً مثل السيف والقوس والجمل والاسد والحمار وما شاكل ذلك. واقوى الاسباب في كثرة اسماء هذه الاشياء عندهم هو كثرة طوائف العرب واختلاف لغاتهم. ولجميع هذه الاشياء اسماء عند السريانيين وربَّما كان للشيء الواحد اسماء كثيرة عندهم حسب اختلاف البلدان واللغات. واما القول بانَّ عند العرب اشياء ليس لها اسماء عند السريانيين فمُنكر اذ ليس عند العرب شيءٌ لهُ عندهم اسمٌ يكون اسمهُ خالياً عند السريانيين. وانما اسماء الاشياء السخيفة القبيحة التي يستهجن الانسان ذكرها فانها في لغة العرب كثيرة الاسماء وفي لغة السريانيين قليلة حسبما ذكرهُ حنين بن اسحاق في كتابهِ للوسوم بكتاب النُّقَط اعني نقط الكتب.

* ومما يدلُّ على انَّ لغة العرب ليست اوسع من غيرها انَّ عند السريانيين والروم والفرس اسماء كثيرة مفيدة ليس لها عند العرب اسمٌ فمن ذلك العقاقير والادوية والآلات وغير ذلك (٨٢) من الاشياء المستعملة فانَّ اسماءها عند السريانيين والروم والفرس موجودة وعند العرب معدومة. والدليل على ذلك اننا نجد في كتب الطبّ والطبخ وغير ذلك من الكتب المنقولة الى العربيّ اسماء كثيرة قد أُخرجت اليهم بلغة السريانيين واليونانيين والفرس اذ لم يُوجد لها عند العرب اسماء تُسمّى بها. ولو نُقل الى السريانية كتاب من كتب العرب لما كانت فيهِ لفظة يتعذَّر وجود نظيرها عند السريانيين. واذا كان الامر على هذا فليس لغة العرب باوسع من لغة السريانيين *

قال الوزير: وكيف الخطّ السرياني من الخطّ العربيّ في الحسن والصنعة والفائدة

قلتُ: «الخط السرياني اوضح واكثر فائدة من الخط العربيّ

قال الوزير: وكيف ذلك؟

قلتُ: «لأنّ الحروف السريانية غير منقطة وغير متشابهة. والحروف العربية كثيرة التنقيط ومتشابهة (٨٣) كتشابه الباء والتاء والنون والياء. والجيم والحاء والخاء. والدال والذال. والراء والزاي. والسين والشين. والصاد والضاد. والطاء والظاء. والعين والغين. والفاء والقاف. وفي كثرة التنقيط كلفة على الكاتب ولبس على القارئ. وتشابُهُ الحروف مُشكل حتى ان في القرآن وهو محفوظ بالدرس ومشكول ومضبوط خلفاً كثيراً بين القرّاء بسبب إشكال النقط وتشابه الحروف. ومن ذلك في سورة البقرة (ع ٢٦١) قولهُ: وانظُرْ الى العظام كيف نُنشِزُها» فقرأها قومٌ بالدال وقومٌ بالراء. وفي سورة طه (ع: ٩٦): «لم يَبْصُروا بهِ» قرأها قومٌ بالتاء «لم تبصروا». وفي سورة الانبياء عن داود (ع ٨٠): «وعلّمناهُ صَنْعَةَ لَبوسٍ لكم لِتُحصِنَكُم» فقرأها قومٌ بالياء «ليُحصِنَكم» وآخرون بالنون «لِنُحصِنَكُم». وفي سورة الحجّ (ع ٦١): «يَدعُون من دونهِ» قرأها قومٌ بالتاء «تدعون» ومثل هذا في القرآن كثير اختلف فيه القرّاء. ومعلوم انهُ لو كانت هذه الحروف غير متشابهة (٨٤) لما وقع هذا الخلف في القرآن

وقد اتّفق في المكاتبات بين الناس لاجل تشابه الحروف ما يتجاوز عددهُ الوصف كقولهم: «اقبلوا القوم» و «اقتلوا القوم» وما شاكل ذلك مما لا يُحصى ولا يُعَدّ

ومما يدلُّ على انّ الذين استخرجوا الخط العربي لم يُحكموا الامر في تشكيل الحروف ولا في تسميتها هو انهم سمّوا اكثر الحروف المتشابهة باسماء متشابهة في الخط وذلك مثل الباء والتاء والثاء. فانّ هذه الحروف اذا كُتبت كانت اشكالها متشابهة ايضاً. وكذلك الحاء والخاء. وبقية الحروف السابق ذكرها وكلُّها مما يلتبس اسمها وكتابها. واذا كتب الكاتب لفظةً فيها حرف من هذه الحروف المتشابهة واراد ان يبيّنهُ ثنّى بذكرهِ ورقهُ مصغّراً تحت الحرف المشبوه لكنّ تلك التثنية لرسم الحرف لا تفيد كثيراً لتشابه الحرفين. وكذلك تشابه اسم الحرف باسم الحرف الذي يشبههُ مثال ذلك ان يكتب (٨٥) الكاتب «نَقَصْتُ» ثم يتبعهُ بقولهِ «بالصاد لا بالضاد» فليس يفيد قولهُ غير إعادة اللفظة. ولو كان اسم الصاد لا يشبه اسم الضاد لكان لقولهِ

فائدة بيّنة . وعلى هذا القياس يجري الامر في سائر الحروف المتشابهة . وهذا التباس لا يدخل مثلهُ في خط السريانيين »

قال الوزير : فهل حروف السريانيين تتصل بعضها ببعض كما تتصل حروف العرب؟

قلتُ . نعم . فيها ما يتّصل وفيها ما لا يتّصل لكن لا فائدة في اتّصالها ولا ضرورة في تفريقها

قال الوزير : وكيف ليس فائدة في اتصالها وهو احسن للخط واسرع في الكتابة وأبين للقارئ ؟

قلتُ : ليس في اتصال الحروف ما يحسّن الخطّ ولا ما يُعين على سرعة الكتابة ولا ما يزيد في البيان (٨٦) . وذلك انهُ قد يتّفق في الخط العربيّ الفاظ كثيرة مركّبة من حروف مقطّعة اذا أُلّف منها كلام وكُتب يوجد الخط فيهِ مساوياً للخطّ المتّصل الحروف في الحسن والسرعة وهو أبيَنُ للقارئ واوفق للضبط والشكل

« وقد كان جرى لرجلٍ رومي كان يكتب بالعربيّة مع بعض المسلمين مشاجرة في هذا المعنى فاستخرج فصولاً بالعربيّة مؤلّفة من الفاظ مركّبة من حروف مقطّعة فبيّن انّ لا فائدة في اتصال الحروف ولا ضرورة في تفريقها . ومن جملة ما اورد هذا الفصل : « ورد داود الازرق واوّل وِردِهِ لازمَ دَرْب دادان الازدي وزرع ارض زردق ارزًا وروض لاون وردًا »

فمعلوم انهُ اذا كُتب هذا الكلام وما يجري مجراهُ مما هو مؤلف من حروف مقطّعة (٨٧) كان الخط فيهِ مساوياً للخط المتّصل الحروف في الحسن والسرعة وهو أبين للقارئ واوفق للضبط والشكل منهُ . وبالعكس لو كتب الكاتب « جبيخل » وهو اسم اعجميّ متّصل الحروف مركّب من جيم وباء وياء وخاء ولام فليس يتمكّن الكاتب من نقطهِ وشكلهِ وهو متصل الحروف كما يتمكن من نقطهِ وشكلهِ لو كان متفرق الحروف . وكذلك سَجَحَ وسَحَجَ وشَحَجَ . وحَجَرَ وجَحَرَ وخَجَرَ ومثل ذلك مما لا يُحصى مما لا يتم التمكين من نقطهِ وشكلهِ اذا كان متفرّق الحروف . فاذا كان الامر على ما ذكرتُ فليس للخط العربي فضيلة على الخط السرياني ولا في اتصال الحروف فائدة . وان كان في اتصالها فائدة فالخط العربي والسرياني مشتركان فيهِ

*

فقال الوزير: فكيف علم كلام النصارى من علم كلام المسلمين؟(٨٨)

قلتُ: «انَّ علم الكلام عند النصارى أبين وأوضح وأصحّ منهُ عند المسلمين لأنهُ مبنيّ على مقتضى شرعهم وموجب كتابهم وليس يوافقهم على اصولهِ وحدودهِ الّا من يوافقهم على المذهب. وكلام النصارى هو علم المنطق وهو مبنيّ على مقتضى العقل واصول القياس فليس يخالفهم فيهِ احد لأنهُ يجري مجرى الحساب الذي لا خلف فيهِ عند سائر اهل الملل. ولذلك ترى درسهُ ونصرة دينهم منهُ ومن استعمالهم قوانينهُ في مناظرة مخالفيهم

قال الوزير: انَّ المسلمين يرون ان درس علم المنطق وغيره من العلوم الفلسفية كفرٌ وإلحاد حتى انَّهم يعتقدون فيمن يطّلع فيها انهُ زنديق

قلتُ: «لا شك في ان اعظمَ مواهب الله تعالى على العبد موهبةُ العقل. وعلمُ المنطق مما يهذّب العقل. فكل شرع ينفي علم المنطق هو مضادّ للعقل. ويلزم من يعتقد انَّ المنطق مضادّ للدين اقامته الدليل على انهُ ضدّ العقل ليصح قولهُ انهُ ضد الدين والدين لا يصحُّ الّا بصحة العقل(٨٩). وهذا مما لا يتعاطاهُ احد ممن يطلبون علم المنطق ولا ادّعاهُ. ونرى جميع المسلمين حرسهم الله يذمّون هذا العلم وقد كان فيهم علماء درسوهُ طمعاً في نقضهِ ولم يتمكن احد من ذلك»

قال الوزير: انَّ المسلمين لم يمنعوا من درس المنطق والعلوم العقلية. ولا يعتقدون انها تضادّ العقل وانما منعوا منها لأن الاشتغال بها يقطع عن النظر في العلوم الشرعيّة

قلتُ: انَّ الاشتغال بجمع المال وطلب الرئاسة والمنازل العالية والحرصُ بالاكل والشرب والجماع يقطع عن النظر في العلوم الشرعيّة اكثر مما يقطعهُ الاشتغال في العلوم العقليّة. فكان يجب على المسلمين حرسهم الله ان يزهدوا في جمع المال وطلب الرئاسة والمنازل العالية والاكل والشرب وسائر الشهوات الجسديّة اكثر من تزهيدهم بدرس العلوم العقليّة(٩٠) اذا كان قصدهم في التزهيد بالعلوم العقليّة التوفّر على العلوم الشرعيّة لأنَّ الشهوات الجسديّة اعني محبّة العزّ والرئاسة والمال والجماع تبعث على الظلم والغشم والتغلّب والعلوم العقليّة تبعث على العدل واتباع الحق والتمسك بالشرع. واذا كان الامر على هذا فدرس كتب المنطق محمود غير مذموم»...

قال الوزير: انّ لهذا القول ومما تقدّمهُ من القول في النحو اجوبةً ليس يتّسع المجال لذكرها على انك والله ما تعدّيتَ فيما اوردتهُ في هذه العلوم ولا علمتُ انّ للنصارى مثلها

وانقضى المجلس بحسن الفصل السادس ولله المنّة وخالص الشكر

(التتمّة في العدد الآتي)

المخطوطات العربيّة لكتبة النصرانية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٧٨ ﴿اده﴾ الياس بن يوسف الشاعر المتوفّى سنة ١٨٢٨ (اطلب ترجمتهُ في المشرق (٢ [١٨٩٩] : ٦٩٣و٧٣٦) : لهُ مجموعة اخبار واشعار في ٢٣٥ صفحة عند الخواجا جاماتي في عينطوره تاريخها سنة ١٢٤٧ه (١٨٣١). نشرنا ما وجدنا من شعره

٧٩ ﴿اده﴾ الاب جبرائيل اليسوعي الماروني المتوفّى في ٧ آب ١٩١٤ هو مؤلف كتاب القواعد الحلية في علم العربيّة في جزئين . لهُ في كلّيّتنا من المخطوطات روايات تمثيلية منها رواية القديس جرجس وبعض محاضرات

٨٠ ﴿ارجتان﴾ لويس فرنسوا دي ارجتان راهب كبوشي ازهر في اواسط القرن التاسع عشر . له المخاطبات اللاهوتيّة الروحانيّة على عظائم سيّدنا يسوع المسيح وهي ١٥ مخاطبة في مدّة فصول من كمالات السيّد المسيح نقلها الى العربيّة الاب يوسف دي رويلي (J. de Reuilly) الرسل الكبوشي في مدينة حلب . منهُ نسخة عند الآباء الكبوشيين في بيروت وفي مكتبة الشماس نقولا ايّوب في حلب تاريخها سنة ١٧٢١ . ونسخة في مكتبتنا الشرقيّة كتبها الخوري عبدالله كديد سنة ١٨٥٣ . وقد وقفنا للاب دي ارجتان على كتاب مخطوط في جزئين عنوانهُ مخاطبات في كتاب علم اللاهوت يشبه الكتاب السابق وقد ورد في مقدّمتهِ انهُ قد عرّبهُ من الافرنسيّة البادري القتيريوس (كذا) من الرهبنة الكبوجيّة سنة ١٧٨٤